

الصورة المركبة لانبثاق الفكر وعلاقتها بالبراديغم المهيمن:

مقاربة تحليلية في فلسفة ادغار موران

The complex Image of the emergent thought and its
relation with the dominant paradigm: an analytic
approach of **Edgar Morin**

بويحي عادل

جامعة الجزائر 2

adelbouyahia1978@Gmail.com

تاريخ القبول: 2020/02/05

تاريخ الإرسال: 2019/11/07

ملخص:

يكشف لنا تاريخ الفكر البشري، عن وجود مستوى من التقارب في نمط التفكير بين المجموعات البشرية بل حتى بين المفكرين والعلماء، كقوة خاصة داخل المجتمعات، حتى أنه كان هناك نوع من التقارب بين البعض من العلماء في اكتشاف قوانين علمية، مثلما كان مع اينشتاين وبوانكاريه بالنسبة لقانون النسبية هذه الحقيقة حملت ادغار موران على الاقرار بأن انبثاق الأفكار يخضع لبراديغم يوجهه، بحيث يفكر الناس وفقا لمقولاته دون وعي منهم، بل إن انبثاق الأفكار يكون وفق صورة مركبة، كالتأثير الارتدادي بين الفكرة المنبثقة وما كان سببا في انبثاقها، ثم إن ذلك يخضع أيضا لعمليات حوسبية تحدث على مستوى العقل/الدماغ، وهو ما يصدق على براديغم البداهة والوضوح حسب موران، بوصفه منظومة فكرية هيمنة على الفكر الانساني منذ مطلع العصر الحديث. الكلمات مفتاحية: انبثاق، حوسبية، براديغم، البداهة، الوضوح

Summary :

The history of human thought reveals that there is a level of convergence in the pattern of thinking among human groups, even among thinkers and scholars as a special category within societies. There was even a kind of convergence among some scientists in the discovery of scientific laws as was the case with **Einstein** and **Poincaré** for the Law of Relativity, this fact led **Edgar Morin** to admit that the emergence of ideas is subject to a

paradigm that directs it, so that people think unconsciously according to its rules, which we tried to show through this work, as the emergence of ideas is based on a complex image such as the reactionary effect between the idea that emerged and what was the reason for its emergence, then it is also subject to conceptual operations that occur on the level of reason (brain), which applies to the paradigm of evidence and clarity by **Morin** as an intellectual system that dominated the human thought since the beginning of the modern era.

Keywords: emergence, paradigm, conceptual, evidence, clarity

المؤلف المرسل: بويحي عادل, adelbouyahia1978@Gmail.com

مقدمة:

لا يختلف اثنان إذا قلنا بأن المنظومة الفكرية للإنسان، عرفت مسارا تطوريا عبر التاريخ، غير أن الملاحظ على هذه السيرورة، هو أن الفكر البشري بين مرحلة زمنية وأخرى، يعيش قطيعة ابستمولوجية يعكسها التمايز الكبير بين ما كان وما أضحي كائنا، وهو ما يعبر على أن نمط الانسان في التفكير يتحول ويتغير، الأمر الذي يترتب عنه تحول في أنموذج وطبيعة منتوجه الفكري، وهو ما يحمل على الاعتقاد بأن هذا التحول لا يحدث وفقا لآلية خطية، وإنما يحدث وفقا لآلية مركبة ومعقدة، يكون فيها للبراديغم المسيطر دور فعال، وهي الآلية التي ينبثق وفق لها الفكر، مثلما يؤكد على ذلك ادغار موران 1921 Edgar Morin، حيث لا يمكن حسبه بأي حال من الأحوال، أن ينفصل انبثاق الفكر وتشكله عن البراديغم الذي ينتهي إليه، ونرمي بهذا القول إلى أن البراديغم المسيطر، في أي مرحلة زمنية بل في أي مكان، له سلطة تشكيل الفكر فضلا على توجيهه سواء تعلق الأمر بالفكر بوصفه ممارسة فردية، أو بوصفه فكرا جماعيا، يعكس الروح الفكرية لجماعة معينة في مرحلة عمرية من هذا المجتمع، ومرد ذلك أن هذه العملية محكومة بحوارية عالية التعقيد، حوارية بين الفكر الفردي والجماعي، وحوارية بين

الفكر (بغض النظر عن صورته) والبراديغم الذي ينتمي إليه، هذا بالإضافة إلى التأثير الارتدادي فيما بين هذه المكوناتين يصبح كلا من الفكر والبراديغم في علاقة هوليغرامية بحيث يوجد كلا منهما في الآخر كما يوجد الفكر الفردي في الجماعي والجماعي في الفردي. فكيف يؤثر البراديغم المسيطر في انبثاق الفكر وفي توجيهه يا ترى ثم كيف يحدث التحول والتغير من براديغم لآخر وإذا كان البراديغم هو ذاته ليس سوى منظومة من الأفكار فكيف يقدر له أن يتحول إلى براديغم موجه لفكر؟

أولاً: مفهوم البراديغم:

قبل البحث في امتدادات البراديغم المهيمن وتجزئه في التنظيم المعرفي، للإنسان يكون حري بنا أن نحدد دلالة كلمة براديغم *paradigme*، حيث يعود الأصل اللغوي لهذه الكلمة إلى "الكلمة اليونانية *paradeigma*، والتي تعني المثال والأنموذج"⁽¹⁾، ظهرت الكلمة في ستينات القرن العشرين في اللغة الانجليزية، بمفهوم يشير إلى نمط تفكير ضمن أي تخصص علمي، وقد كانت الكلمة قاصرة على قواعد اللغة، ويترجم هذا المصطلح إلى اللغة العربية بمعنى المثال، أو الأنموذج، والأنموذج في اللغة يعني "مثال الشيء، ويطلق المعاني المتصورة"⁽²⁾. أما اصطلاحاً فالمعنى الأكثر تداولاً في الساحة الاستيمولوجية، هو ذلك الذي استخدمه "توماس كون" (Thomas samuel kuh)، في كتابه "بنية الثورات العلمية"، والذي يحمل معنى الأنموذج المعرفي، حيث حاول "كون" أن يفسر التطور العلمي، من خلال فكرة الأنموذج الإرشادي، غير أننا عندما نتأمل توظيفه لهذا المصطلح، يظهر لنا أنه لم يعط له مفهوماً واحداً واضحاً، وإنما تعددت مفاهيمه، وتداخلت مما جعله أكثر غموضاً، فهو يعرفه في موضع على أنه يمثل "الحلول الواقعية للألغاز التي إذا ما

عادل بويحي الصورة المركبة لانبثاق الفكر وعلاقتها بالبراديغم المهيمن: مقارنة تحليلية
في فلسفة ادغار موران بويحي عادل

استخدمت كنماذج أو أمثلة، يمكن أن تحل محل القواعد الصريحة كأساس
لحل الألغاز المتبقية في نطاق العلم القياسي"⁽³⁾، مثلما يعبر عنه على أنه
"الأمثلة المقبولة للممارسة العلمية، الأمثلة تشتمل معا على القانون
والنظرية، والتطبيق، وطرق استخدام الآلات"⁽⁴⁾، ويميز "موران" بين صورتين
لمفهوم البراديغم لدى "كون"، بين الطبعتين الأولى والثانية لكتابه بنية الثورات
العلمية، ففي الطبعة الأولى حسب "موران" يتشكل البراديغم لدى "كون"
بواسطة "الاكتشافات العلمية التي نالت اعتراف العالم والتي عرضت في فترة
ما عددا من المشاكل والحلول لعدد من الباحثين، أما في الطبعة الثانية أخذ
البراديغم معنى مجتمعيًا فأصبح مجمل الاعتقادات والقيم والمعتقدات بها
والتقنيات المشتركة لدى مجموعة معينة"⁽⁵⁾، غير أن ما هو جلي من خلال هذا
التعدد والتنوع في مفهوم الأنموذج، هو أن هذا المفهوم يكتنفه الغموض
والإبهام وهو ربما ما كان سببا في تعرضه لانتقادات من قبل الكثير من
الفلاسفة، هذه الانتقادات التي تناولت قصور وضبابية مفهوم البراديغم
لدى كون، لم تكشف فقط قصورا في فكر "كون" بل أيضا صعوبة التفكير في
مفهوم البراديغم الذي راح يغيث ثم يتلاشى ما إن تعمق في تبين طابعه الأول
والمؤسس والنووي"⁽⁶⁾، وإذا كان الغموض هو الذي قاد إلى جملة من
الانتقادات، وجهت لـ"كون" فإن هذا لا يفهم منه أن موران ينشد الوضوح في
تحديده لمفهوم البراديغم، بل أنه هو ذاته يعترف بغموض فكرة البراديغم، وأنه
يحتفظ بمفهوم البراديغم" على الرغم من غموضه، بل بسبب غموضه"⁽⁷⁾.

يعرف ادغار موران البراديغم على أنه " مؤلف من علاقة خاصة وموجبة بين
مقولات أو مفاهيم أساسية، داخل فضاء فكري معين ويحكم هذا الفضاء
الفكري عندما يحدد استعمال المنطق ومعنى الخطاب ورؤية العالم في آخر

المطاف (مع العلم أن رؤية العالم تصبح وتصير مصدر المبادئ التي تنظم العالم وتنتجه"⁽⁸⁾، هذا الوصف للبراديغم، ينطبق حسب موران على براديغم البدهاءة والوضوح، الذي تعود جذوره إلى رونييه ديكارت " René Descartes 1596-1650"، ويفسر لنا كيف هيمن هذا البراديغم على النظام المعرفي للإنسان منذ مطلع العصر الحديث.

وضع ديكارت مجموعة من القواعد، من شأنها حسبه أن تضمن التدرج السليم لأجل الوصول إلى الحقيقة البديهية والواضحة، هذه القواعد ما فتئت وأن انبثقت منها مجموعة من المقولات، مشكلة براديغم البدهاءة والوضوح، أو ما يصطلح عليه بابستيمولوجيا التبسيط، ولعل أن نزوع ديكارت نحو البدهاءة والوضوح، يعود إلى تأثيره بالرياضيات، حيث كان يراها أشرف العلوم، وأعلىها منزلة، ويقول عنها أنها: "أفضل من كل معرفة تناقلها البشر لأنها تمثل منبع كل المعارف"⁽⁹⁾، هذه المنزلة التي أعطاها ديكارت للرياضيات، تعود إلى ما تتميز به نتائجها من بدهاءة ووضوح، لذلك جعل من البدهاءة والوضوح غايته في بحثه عن الحقيقة، يقول في كتابه "حديث في الطريقة": "لا أقبل أي شيء على أنه حقيقة دون أن أعرف معرفة جلية أنه كذلك، أي أن أبتعد تمام الابتعاد عن الشرح والظن، وأن لا أشمل بأحكامي أكثر مما يتقدم لفكري بقدر من الوضوح لا يدع أية فرصة للشك فيه"⁽¹⁰⁾.

يمثل هذا التوجه الذي رسمه ديكارت في كتابه حديث في الطريقة وكتاب القواعد وكذا المبادئ الإطار العام الذي تشكل في ظله براديغم البدهاءة والوضوح، وهو البراديغم الذي يقوم على مقولات هي: الاعتقاد في النظام والعلية الخطية، الفصل والتفكيك، والاختزال.

عادل بويحي الصورة المركبة لانبثاق الفكر وعلاقتها بالبراديغم المهيمن: مقارنة تحليلية
في فلسفة ادغار موران.....بويحي عادل

إن البحث في هذه المقولات يكشف حقيقة أن مقولتي العلية الخطية والاختزال، لا تنفصل عن الموقف الميتافيزيقي لديكارت، والذي يتجلى في اعتقاده بأن الله علة الوجود، يقول ديكارت: "يجب القول: إن الله وحده هو فاعل كل الحركات الكائنة في العالم بما هي كائنة وبما هي مستقيمة"⁽¹¹⁾ ليسحب بذلك هذا الاعتقاد على جميع الظواهر معتقدا أنها منظمة، تحكمها علل محددة تختزل فيها، أما عن الفصل والتفكيك كمقولة لبراديغم البداهة والوضوح، فلم يكن سوى القاعدة الثانية من قواعد المنهجاتي وضعها ديكارت، والتي تقول يجب: "تقسيم الصعوبات التي أفحصها إلى ما يمكن من الأجزاء وما ينبغي لحلها على أكمل وجه"⁽¹²⁾ بهدف الوصول إلى العناصر البسيطة والواضحة، التي لا تقبل التفكيك.

لقد هيمن براديغم البداهة والوضوح حسب موران، على النظام المعرفي للإنسان منذ مطلع العصر الحديث، فتحكم في أليات التفكير، لتكون بذلك بنية المعرفة، بصورها ومجالاتها المختلفة والمتنوعة ليست سوى انعكاسا لهذا البراديغم، غير أن تجذر مقولات هذا البراديغم وهيمنته، لم تكن وفقا لآلية بسيطة بما ينسجم مع هذه المقولات، وإنما كان وفقا لآلية مركبة مثلما يؤكد على ذلك موران، باعتباره منظومة من الأفكار، فكيف يهيمن البراديغم على النظام المعرفي للإنسان وكيف تتجذر مقولاته؟

ثانيا: آلية هيمنة البراديغم وتحكم مقولاته بالنظام المعرفي للإنسان:

يؤكد موران على أن قوة تأثير البراديغم الذي هو في الأصل انبثاق فكري في صنعه للأفكار التي تولد في الأذهان إنما يعود إلى كون أن "ما هو براديغمي ينحفر بعمق في التنظيم المعرفي للعقول /الأدمغة البشرية، وينحفر بعمق في التنظيم العقلي، وينحفر بعمق في العمليات اللغوية والمنطقية، وينحفر بعمق

في ثقافة يحدد فيها رؤى العالم والأساطير والأفكار والنشاطات والتصرّفات⁽¹³⁾ وعلى هذا الأساس يمكن القول أن أية فكرة يمكن أن تولد، بغض النظر عن طبيعتها (فلسفية، علمية ...) هي مدينة بشكل أو بآخر إلى البراديغم الذي انبثقت منه هذه الفكرة لأن هذا البراديغم تغلغل في تركيب معقد داخل الميكانيزمات المسؤولة عن نشوء الأفكار وظهورها ويتعلق الأمر مثلما ظهر في القول السالف الذكر لموران بـ: (التنظيم المعرفي للعقول / الأدمغة / البشرية، التنظيم العقلي، العمليات اللغوية والمنطقية والثقافية). وما دامت كل فكرة تظهر إلى الوجود هي في الأصل وليدة حوارية بين هذه العناصر المختلفة والمتباينة، فهي مرتبطة ارتباطاً وجودياً بالبراديغم، غير أن التعقيد في انبثاق الأفكار يظهر هنا في أن تلك الميكانيزمات السالفة الذكر هي في الأصل نتاج للأفكار التي تنبثق عنها، بمعنى أن هناك علاقة ارتدادية بين الفكرة وبين تلك المكونات، فالعمليات اللغوية والمنطقية والثقافية وحتى العقل / الدماغ / ذاته، هو نتاج للأفكار التي انبثقت منه، وهذا ما يترجم التماهي من جهة أخرى بين الأفكار المنبثقة وبين هذه المكونات حيث توجد كل واحدة في الأخرى في علاقة هوليغرامية^(*) "Hologramme/Princphologrammique"، في خضم هذه العلاقة المعقدة بين عالم الأفكار وبين البراديغم، يشرع أن نتساءل عن الكيفية التي ينفذ بها البراديغم إلى تلك الميكانيزمات ومن ثم إلى الأفكار فكيف ينفذ البراديغم يا ترى إلى عالم الأفكار، وكيف يسيرها ؟

إن الحديث عن الآلية التي تنفذ من خلالها مقولات البراديغم المسيطر إلى الفكر لا يمكن أن تدرك خارج العلاقة بين ما هو بيولوجي وهو اجتماعي، وفي هذا السياق يقول موران: إن "النوع موجود في الفرد، نعرف أن النوع لا

يمكنه البقاء إلا إذا حصل جماع بين شخصين، إن النوع موجود بالوراثة إذن في الفرد، لكن إذا كنا نعيش في المجتمع، يمكننا القول كذلك أن المجتمع يعيش فينا، فهو يمدنا منذ ولادتنا بلغة وثقافة العلاقة هنا هي علاقة تلاحم يوجد فيها كل طرف في الآخر، إنها علاقة دائرية أو تكرارية⁽¹⁴⁾. وكأنه يريد أن يقول أن نفاذ البراديغم إلى الميكانيزمات المحركة للفكر ومنها عالم الأفكار ذاته، إنما يكون عبر البعد الاجتماعي الذي يوجد في كل فرد، على اعتبار أن البراديغم متجذر في الأطر الاجتماعية فتنشأ الأفكار وتنبثق بتأثير من الثقافة التي تعتبر بدورها نتاج الأفكار التي هي صناعة براديغمية، بمعنى أدق يمكن القول أن الأفكار تنتج من الثقافة التي أنتجت الأفكار في حوارية وارتداد وهوليغرام عالي التعقيد، تعقيد يعود بنا إلى علاقة ما هو بيولوجي (الدماغ) بما هو ثقافي، فالدماغ /العقل/ يدخل هو الآخر في حوارية مع الاجتماعي، فيكون نتاجا للاجتماعي الثقافي الذي ينتج من الدماغ /العقل/.

إن الدور الذي يلعبه البراديغم في انبثاق الفكر وفي توجيهه له علاقة ببنية البراديغم ذاته أو بالأحرى يرتبط بمكونات البراديغم، فكل براديغم يشتمل على مجموعة من المفاهيم والمقولات الأساسية التي تتغلغل في التنظيم المعرفي للإنسان، والتنظيم العقلي والمنطقي واللغوي، فتصبح هذه التنظيمات التي من شأنها أن تنشئ الأفكار خاضعة لتلك المقولات البراديغمية؛ يقول موران: "يتضمن البراديغم المفاهيم الأساسية أو المقولات الكبرى للتعقل كما يتضمن نوع العلاقات المنطقية في التجاذب أو التنافر (وصل، فصل انخراط) بين هذه المقولات، هكذا يعرف الأفراد ويفكرون ويتصرفون حسب هذه البراديغمات المحفورة ثقافيا فيهم، والمنظومات الفكرية مرتبطة جذريا بفضل البراديغمات"⁽¹⁵⁾، على هذا الأساس يظهر مستوى التقارب في نمط التفكير بين

المجموعات البشرية التي يحكمها براديغي واحد حتى وإن كان هناك اختلاف بينها، وقد يكون الأمر واضحاً بالنسبة لنا في كثير من مجالات الفكر والمعرفة، بما في ذلك مجال المعرفة العلمية، فمثلاً وصول ألبرت أينشتاين Albert Einstein 1879-1955 وبوانكاريه Jules Henri Poincaré 1854-1912 في الوقت نفسه إلى فكرة النسبية، إنما يبرر إلى حد كبير كيف أن المفاهيم الأساسية للبراديغم ومقولاته الكبرى وما يحمله من علاقات منطقية تأثيراتها ظاهرة على المستوى الواقعي، وفي الوقت ذاته تكون قدرة انشتاين في صياغة النظرية وبناءها دون أن يتمكن من ذلك بوانكاريه على الرغم من إمكاناته العقلية، له علاقة بمستوى تجذر مقولات براديغم البدهة والوضوح لدى كل منهما.

إن البراديغم يجعل من العلاقة بين العالم بوصفه موضوعاً للإدراك والمعرفة وبين الذات كحامل للمعرفة، علاقة تواصلية في حقيقتها حتى وإن كان يدعو إلى الفصل مثلما تعلق الأمر ببراديغم البساطة والوضوح، فالفصل بين الذات والموضوع ولد رؤية للعالم كانت هذه الرؤية للعالم متحدة مع الذات التي تصورها وبنيتها، وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن "الوعي يعكس العالم بكيفية لا يقينية من دون شك ولكن إذا كانت الذات تعكس العالم يمكن أن يدل ذلك أيضاً على أن العالم يعكس الذات فلماذا لا تتم علاقات أنانا المفكرة والمثابة والمحسة في أي موضوع داخل رؤيتنا للعالم ؟ كان يتساءل إرفين شرودنجر Erwin Rudolf Josef Alexander Schrödinger 1887-1961 وكان قد أجاب بأن ذلك مرده إلى أنّ أنانا هي نفسها هذه الرؤية للعالم، إنها متطابقة مع الكل وبالمرة لا يمكن تمثيلها كجزء من هذا الكل" (16).

تتولد هذه الرؤية للعالم من خلال الانتظام الذاتي للأفكار، هذا الانتظام الذاتي هو ما يوثق العلاقة بين الذات والموضوع، في ثنائية مركبة تنتج عنها الذات الموضوع بأفكارها وينتج الموضوع الذات بتأثيراته، فتنبثق الأفكار من

عادل بويحي الصورة المركبة لانبثاق الفكر وعلاقتها بالبراديغم المهيمن: مقارنة تحليلية
في فلسفة ادغار موران.....بويحي عادل

هذه الحوارية المنتظمة ذاتيا.يقول موران:- في خضم حديثه عن علاقة الكائن الفاعل بواقع العالم الموضوعي - "نقول بارتباطهما الوثيق الذي يتم بفضل حلقة تكرارية تكون عناصرها المختلفة ضرورية لتشكيل بعضها بعضا، والحوسبة^(*) هي في آن منتج ومنتوج الحلقة التنظيمية الذاتية، التي تقتضي وجود الفرد الفاعل والعالم الذي يفعل فيه هذا الفرد. ويندرج فيه ويندرج العالم فيه بصورة ما، هكذا إذا فكّرنا أن نُحوسب نفضي إلى المقولة التالية (أنا في العالم والعالم في) إثبات الواقع الموضوعي للعالم الموضوعي الذي ينتمي إليه، يقدمه لنا النشاط الذاتي الذي ينظم المعرفة فقط بل ينظم الحياة في المقام الأول"⁽¹⁷⁾. فالانتظام الذاتي لهذه العلاقة يجعل من الباحث فيها إذا انطلق من المجتمع صاعد في سلم التعقيد، لا يجد سوى ذات مفكرة هي ذاته، وإن هو حاول أن يبحث في أصل هذه الذات المفكرة منطلق من هذه الذات نفسها، فإنه يعثر على مجتمعه "وعلى تاريخ هذا الموضوع داخل تطور البشرية، وعلى الإنسان المنتظم في علاقته مع محيطه"⁽¹⁸⁾.

إن البراديغم يجعل من البناء الاجتماعي من خلال تحكمه في مفاهيمه، يقوم بعمليات حوسبية تؤديها هذه الآلة المليونية وعمليات حوسبية تؤديها العقول /الأدمغة التي تنضوي تحت هذا البراديغم فتنشأ بذلك منظومات فكرية منتظمة ذاتيا، هذه المنظومات الفكرية يكون لها تأثير ارتدادي على الدماغ فتنبثق الأفكار الخاصة بكل فرد، فبراديغم التبسيط مثلا بمفاهيمه المتمثلة في (العقل،الاختزال،العلية والخطية) انحفر في الآلة المليونية (البشرية)، وكان من نتاج هذا الإنحفار والتجذر، أن أصبحت هذه الآلة المليونية المتمثلة في الأدمغة /العقول،تقوم بحوسبات ينتج عنها منظومات فكرية ترتد في أصولها كلها إلى هذا البراديغم .

إذن انبثاق الأفكار في أي مجتمع بل في المجتمع البشري برمته ،إنما يحكمه مبدأ الانتظام الذاتي،هذا المبدأ الذي يحكم مختلف البنيات البيولوجية والسوسيولوجية والثقافية يقول ادغار موران: "إن مبدأ التنظيم الذاتي البيئي يشرح ويبرر وينتقد. إنها تمكن من التفكير في تطور خلاق فيدمج ويحول إمكانيات الترتيب والتنظيم البيئية والفيزيائية والبيولوجية والكونية إلى إمكانيات دماغية نفسية تنظم المعرفة"⁽¹⁹⁾. إن مبدأ التنظيم الذاتي يقوم على بناء منظومات فكرية "تتكون من المفاهيم المترابطة والمتكافلة وترتبطها علاقات منطقية(أو أنها تبدو كذلك)من خلال بديهيات ومسلمات ومبادئ تنظيمية"⁽²⁰⁾؛ ويشبه موران هذه الصورة والآلية في بناء المنظومات الفكرية بما يحدث على مستوى المنظومة الذرية،هذه المنظومة التي تتشكل فيها الجزيئات المترابطة،مجموعة من الالكترونات حول نواة ولكن من دون أن يقصد بهذا أن الأفكار المجمعة في منظومات فكرية لا هي جسيمات ولاجزيئات وإنما"يمكن اعتبارها كوحدات إعلامية/رمزية متوافدة إما بناء على تآلفات خاصة،وإما بناء على مبادئ تنظيمية(منطقية براديغمية)عملية لا وجود للأفكار المعزولة،ذلك أنها لا تأخذ قوامها إلا حسب المنظومة التي تتضمنها"⁽²¹⁾.

هذا النموذج المنظوماتي يقتبس من نموذج الذرة صورته ،فهو يشمل بحسب موران على نواة،وعلى منظومات فرعية وعلى جهاز مناعة،هذه النواة وهذه المنظومات الفرعية وهذا الجهاز المناعي،هي في نهاية المطاف صناعة براديغمية، فالبراديغم هو الذي يحيي المنظومات الفكرية التي تشكلت منه، وتشكله وفقا لمبدأ الارتداد والهوليغرام، بمعنى أن البراديغم الذي يحيي المنظومة الفكرية يوجد بداخلها كما توجد هي بداخله، وهذا ما يجعل الخطأ

الذي يظهر في أي منظومة إنما يرتبط بصورة أو بأخرى بالبراديغم الذي تنتمي إليه هذه المنظومة، والأخطر من كل هذا أن البراديغم يوفر نظاماً حمائياً ضد كل فكرة شاذة تظهر إلى الوجود تتنافى مع بنية هذا البراديغم، يقول ادغار موران: "إن أنساقنا الفكرية (نظريات مذاهب إيديولوجيات)، ليست فقط عرضة للخطأ، وإنما تعمل أكثر من ذلك بحماية أخطائها وأوهامها، بعبارة أخرى يمكن القول أن المنطق الداخلي لكل نسق من الأفكار يعمل على مقاومة كل ما لا يتلاحم معه."⁽²²⁾، فالبراديغم مثلما سلف وأن قلنا هو الذي يوجه هذه النظريات والمنظومات الفكرية، وهو الذي يوفر لها الحماية، إن الحوسبة التي تحدث على مستوى الآلة المليونية بين العقول /الأدمغة البشرية، هي من نموذج الحوسبة التي تكون على مستوى الأفراد، هذه الحوسبة التي هي عبارة عن "عمليات تجميع (وصل تضمين، مماهة، اشتراك) وتفريق (تمايز وتعارض، اصطفاء، استبعاد) وهي عمليات منطقية في الحالة الأولى وسابقة للمنطق في الحالة الثانية "⁽²³⁾، فعمليات الوصل والتضمين والمماهات والإشراك هي العمليات المنطقية التي من تفاعلها تنشأ الأفكار، بعد أن تكون قد حركتها مفاهيم أو بالأحرى عمليات أخرى سابقة للمنطق وهي عمليات براديغمية، "إن التفكير (الفكر) الذي ينشأ من العمليات الحوسبية التي تقوم بها الآلة الدماغية له مفعول رجعي على هذه الحوسبات، ويستخدمها ويطورها ويحولها من خلال تشكيلها في اللغة"⁽²⁴⁾، تظهر آثار هذه الحوسبة بشكل واضح على مستوى الإدراك حيث تتداعى التصورات والكلمات وترتبط الجمل ارتباطاً حميمياً بالتصور معلنة عن ميلاد أفكار تعبر عن الأشياء والعناصر والأحداث والأفعال، هذه الأفكار التي تولد وتنشأ يكون لها تأثير رجعي على حد تعبير موران على هذه

الحوسبات التي أنتجتها، فتساهم في تطويرها وتعقيدها وإضافة لها، فضلا على أنه (الفكر) يستخدمها أيضا وهذا يظهر مستوى التعقيد في انبثاق الفكر وعلاقته بالحوسبة والبراديغم، على اعتبار أن استخدامه للحوسبة يكون تحت سلطة البراديغم الذي ينتمي إليه.

استخدام الفكر للحوسبة يجعل الأفكار تنفلت من رقابة العقل نفسه لتتحول من أفكار ذاتية إلى أفكار فوق الذات، بل فوق المجتمع برمته لتحكم قبضتها على من أنتجها وعلى النسق الذي انتجت فيه، وكأنها كائنات حية تتصرف وفق آلية معينة. يقول موران: "الأفكار هي كائنات جامحة وسرعان ما تنفلت من رقابة العقول فتسيطر على شعوب بأسرها وتبذل طاقة تاريخية خارقة. كيف جرى أننا منحنا الحياة لكائنات خلقها العقل ثم نهبها حياتنا فتستحوذ عليها في النهاية"⁽²⁵⁾. إن استحواذ الأفكار على الإنسان يصوره "موران" وكأنه عبارة عن كائنات مقابلة له تواجهه وتوجهه فتكون مستقلة عنه وكأنها لم تنشأ في هذه الذات؛ وربما هذا ما جعل كارل ماركس Karl Marx 1818-1883 يقول: "حقا يظهر أن الأفكار التي ينتجها الدماغ البشري تمتع باستقلالية كاملة، وتتوفر على أجساد خاصة تجعلها تتواصل بشكل دائم مع البشر، وفيما بينها كأجساد والأكثر من ذلك أن المعتقدات والأفكار ليست فقط إنتاجات فكرية وإنما هي أيضا كائنات فكرية تتمتع بكامل الحياة والقوة، وبهذا المعنى فهي قادرة على أن تستحوذ علينا"⁽²⁶⁾. عندما تستحوذ الفكرة على الفرد يكون قادرا على التضحية من أجلها، بل مستعد أن يموت من أجلها، فتجرفه وتجعل هذا الإنسان الواعي يتحرك بغير وعي أو بعبارة أخرى، يتحرك وفقا للوعي الذي تطرحه هذه الفكرة لا غير، لكن هذا الاستحواذ لا يمكن أن يخرج عن دائرة البراديغم الذي أنتجها، بمعنى أن

عادل بويحي الصورة المركبة لانبثاق الفكر وعلاقتها بالبراديغم المهيمن: مقارنة تحليلية
في فلسفة ادغار موران.....بويحي عادل

الفكرة قد تؤدي إلى فعل القتل، أو إلى الموت وتؤدي إلى التضحيات الكبيرة
بتوجيه من البراديغم.

البراديغم إذن يلعب دورا هاما في ظهور الأفكار، كما يلعب دورا هاما في
إنتاج الحوسبات وتطويرها وهي الحوسبات التي تنتجها؛ هذه العلاقة المركبة
والمعقدة والتي تعبر عن نشوء الأفكار وعلاقتها بالبراديغم تعكس تجاوز الفكر
التبسيطي الذي أسسه ديكارت، وتجاوز فكرة العلية الخطية، خاصة أن هذا
البراديغم كان يختزل صناعة الأفكار أو تركيبها في العقل.

ثالثا: الثورات البراديغمية في ظل التدافع بين البراديغم المهيمن والأفكار
المنحرفة والشاذة:

بعد أن اتضح أنّ البناء الفكري للفرد والمجتمع إنما يكون في كل الأحوال
صناعة البراديغم الذي ينتمي إليه، وذلك من خلال مختلف المفاهيم التي
يغرسها هذا البراديغم في التنظيمات المعرفية للفرد وبالأحرى من خلال ما
ينحفر في العقول/الأدمغة من مفاهيم هي في الأصل من مكونات البراديغم،
يجدربنا أن نبين أن البراديغم وإن كان عمره يطول ويمتد، وربما إلى قرون إلا
أنه ليس أبديا، وإنما هو الآخر محكوم بالتغير، وإن طال أمدّه، بوصفه منظومة
فكرية خفية يمكن أن يمسه ما يمسه باقي المنظومات الفكرية التي تنبثق منه
ما نريد، أن نشير إليه هنا بالضبط هو أن البراديغم الذي يصنع الفكر
الفردى والجماعى ويتحكم فى آلياته، يشتمل على مجموعة من المفاهيم
والمقولات، وينبني على مجموعة من العلاقات المنطقية والتي لا تظهر للعيان،
هذه المكونات البراديغمية هي وليدة أفكار ومثلما أن لهذه الأفكار قوة التأثير
والتوجيه، إلى درجة أنها شكلت براديجما يمكن أن تظهر أفكارا منحرفة عن
هذا البراديغم نفسه، أفكارا شاذة تكتسب قوتها مع مرور الوقت فيكون لهذه

الإنحرافات دور في صناعة الفكر وتوجيهه، أو بالأحرى صناعة فكر جديد يتميز عن الفكر الذي شكله البرديغم الذي كان سائدا، ومن ثم توجيه الفكر توجيها جديدا عن طريق براديغم آخر بديل يكون قد بدأ في التشكل والظهور مع ظهور الانحراف والشذوذ. هذه الانحرافات الفكرية، أو ما نعبر عنه بالأفكار الشاذة والمنحرفة، لا يكون نشوؤها اعتباريا وعشوائيا، وإنما وجودها وظهورها محكوم بتوفر شروط وأسباب متميزة عن تلك التي يوفرها البراديغم، بمعنى أن "بروز أي فكرة جديدة يتم في بعض الشروط التاريخية والاقتصادية والثقافية والسياسية"⁽²⁷⁾، وهي ظروف تكون ربما على هامش البراديغم المسيطر، ما يسمح لها أن تنفلت من رقابته وتساهم في ظهور الشذوذ.

إن ما يحملنا إلى هذا الاعتقاد هو أن البراديغم المسيطر لا يسمح في الأصل بظهور أفكار تتنافى مع مفاهيمه وأسسها حيث يقوم بانتقاء عمليات تحديد المفاهيم والمقولات وأشكال المنطق، ويقوم أيضا بتحديدتها والتحكم بها، فيختار المقولات الأساسية للتعقل ويراقب طريقة استعمالها"⁽²⁸⁾، وفي مقابل انتقاءهما يتوافق مع مفاهيمه يستبعد كل ما يتنافى معها مشكلا حصنا وسدا منيعا باعتبار أن "المنظومات الفكرية تقاوم الانتقادات والتفنيدات الخارجية، ليس فقط بمراكمة الحجج الجاهزة مسبقا لوجهتها ولكن أيضا بالاستناد إلى اتساقها المنطقي"⁽²⁹⁾، هذا الكلام لإدغار موران يعزز الاعتقاد بأن الأفكار المنحرفة والشاذة إنما أوجدتها شروط كانت خارج الرقابة البراديغمية، شروط كانت على هامش البراديغم، وهي الشروط الهامشية التي يعيش في ظلها أفراد يحملون بداخلهم رفضا للبراديغم السائد، بل هي الشروط نفسها التي صنعت هذا الرفض، بمعنى أن بروز الفكرة الشاذة إلى الوجود تحكمها آليات من جنس الآليات التي صنعت البراديغم

عادل بويحي الصورة المركبة لانبثاق الفكر وعلاقتها بالبراديغم المهيمن: مقارنة تحليلية
في فلسفة ادغار موران بويحي عادل

نفسه؛ يقول موران في هذا السياق "في كل مجتمع وكل مجموعة يوجد أفراد جانحون ينفرون من البراديغم السائد، ومع أن الثورة نادرة جدا فإن هناك ثورات فكرية أي ثورات براديغمية"⁽³⁰⁾.

يمكن أن نشبه الصراع الدائر بين الفكرة المنحرفة والبراديغم السائد بذلك الصراع الذي يكون بين الجراثيم في الجسم وجهازه المناعي، حيث يعمل الجهاز المناعي للجسم على صد الاختراقات والتوليدات التي يحاول الجرثوم أن يحدثها داخل الجسم، في مقابل حركية الجرثوم ونشاطه الذي يسعى إلى التمكن من الجسم والسيطرة عليه، فيكون حال البراديغم هو حال الجهاز المناعي، أما الفكرة المنحرفة والشاذة فيمكن تمثيلها بنشاط الجرثوم في الجسم، وللتدليل على هذه الحقيقة التي تعكس الواقع الذي تظهر فيه الأفكار الشاذة والمنحرفة والتي يكون لها بالغ التأثير في تشكيل الفكر وصناعته مستقبلا، بل تشكل براديغما بديلا لما هو سائد، يمكننا أن نستقري التاريخ الفكري والمعرفي للإنسان فالثورة الكوبرنيكية كسرت وقسمت براديغما كان سائدا لمدة طويلة، شرارتها كانت فكرة شاذة ومنحرفة رافضة لهذا البراديغم وإن كانت هذه الثورة نفسها، "ثورة استغرقت قرننا قبل أن تتفعل"⁽³¹⁾.

إن الثورات الفكرية والبراديغمية تصنعها الأفكار المنحرفة والشاذة، والتي تتحول بدورها إلى راع لبراديغم جديد؛ لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا مفاده، كيف تتمكن الأفكار المنحرفة أن تهدم براديغما أرسى جذوره في الواقع الاجتماعي والثقافي والنفسي والذهني؟

تظهر الأفكار المنحرفة والشاذة على هامش البراديغم وتتحين الفرصة لتعلن عن وجودها، بل عن جدواها في حل المشكلات التي تظهر إلى الوجود، وهذا يعني أن الفضاء الذي يسمح بظهور وبروز هذه الأفكار إلى سطح

الساحة الفكرية، هو الأزمات البراديغمية الأزمات التي يعكسها الشذوذ الذي يظهر على مستوى الوقائع والظواهر والذي عجز البراديغم السائد على احتوائه، فالأفكار الشاذة هذه والمنحرفة تكون هامشية لكنها محيرة ومهددة؛ نموها يكون سرّياً، غير أن الفعالية لا ترجى منها إلا إذا تمكنت " من التجذر قبل أن تجد الشروط المناسبة لتطورها وانتشارها"⁽³²⁾، فبقدر ما كان لهذه الفكرة من قوة الامتداد في العمق الثقافي والاقتصادي والذهني، بقدر ما تكون فعالة، بل بقدر ما تكون لها قوّة مجابهة المقاومة البراديغمية. لن يُخترق البراديغم إذن، إلا إذا كان هناك شذوذ متفشي، فهو بمثابة "إشارة صريحة إلى وجود اضطراب أو فوضى في المعارف القائمة"⁽³³⁾، فوضى تعبر على أن البراديغم الذي عهد أن يصنع الأفكار ويمثل الأرضية الصلبة لانبثاقها، قد امتد إليه العجز وأضحى قادر على مسaire المستجدات ومعالجة الأزمات، على مستوى الوقائع والأفكار.

هذا الواقع الذي يصبح عليه البراديغم بعد ظهور الشذوذ، يسمح بوجود ثغرات صغيرة على حد تعبير موران تكون بمثابة المنافذ التي يخترق منها هذا البراديغم، فيتيح ذلك " بروز انحراف مجدد أو ناشئ عن أزمة متقيحة كي تخلق الشروط الأولى لتحوّل يستطيع أن يصبح عميقاً"⁽³⁴⁾، من أعراض تفشي الأزمة وانتشارها هو تنوع سبل حل المشكلة وما يترتب عنه من خلاف وتنافس بين النظريات، فتكون هناك حاجة ماسة إلى أفكار جديدة، لأنه يجب أن ينظر إلى الوقعة الشاذة من زاوية مختلفة تماماً، بمعنى أن تجاوز الشذوذ يقتضي إعادة تأسيس مجال معرفي جديد⁽³⁵⁾، لكن ظهور الشذوذ على مستوى الوقائع والظواهر وعلى مستوى البراديغم وحتى الأفكار المنحرفة لن يكون أمراً كافياً لهدم البراديغم السائد، وإعادة تشكيل براديغم آخر مالم

يكن هناك من يؤمن بهذه الأفكار المنحرفة ويكون واسع الاطلاع على حقيقة الشذوذ الحاصل على مستوى البراديغم، لأنه في حال كان الأمر خلاف ذلك فإن مآل هذه الأفكار هو الإندثار والزوال، وتاريخ البشرية الفكري شاهد على هذه الحقيقة فكم من فكرة شاذة كان ينظر إليها بعين الاحتقار انتهى بها الأمر إلى سبات عميق مع أنها كانت على قدر عال جدا من الصواب، بل أنها ساهمت بعد بعثها من جديد في قلب مفاهيم البراديغم السائد، وعلى هذا الأساس تكون هناك حاجة ماسة لأن يكون حامل الفكرة المنحرفة، رافضا رفضا قاطعا لأن يمثل لأوامر البراديغم، ليتسنى له قيادة هذه الفكرة، لكي تحدث ثورة في البراديغم باعتبار أن " الثورة الذهنية البالغة الأهمية تبدأ عندما يكف بعض الأفراد عن خضوعهم للأوامر والأساطير والمعتقدات الصادرة عن الحاسوب الأكبر وأصبحوا فاعلين معرفيين"⁽³⁶⁾، أمّا عن بدايات تأثيرات هذه الفكرة (المنحرفة) المباشرة، والتي تبعث الثورة إلى الوجود إنما تكون على مستوى النّواة-نواة البراديغم- فالفكرة المنحرفة إذا استطاعت أن تحرّك النّواة من موقعها وتستبعتها تكون قد أعلنت عن ميلاد ثورة براديغميّة تعصف بالبراديغم السائد سواء بصفة كلية أو جزئية.

إن " الثورة البراديغميّة هي ثورة النّواة التّوليديّة، إنها كناية عن بداية تطوّر وعن تنظيم عام مجدّد للبنى التي تنظّم الكائن الحي الذي منه ينشأ غصن فصائلي جديد"⁽³⁷⁾، ومتى نجحت الثورة على الفكرة النّواة للبراديغم، تراجعت تأثيرات البراديغم السائد على الفكر والمعرفة بصفة عامة، إلى أن تزول هذه التّأثيرات بصفة نهائية، وهذا لأن نواة البراديغم تتميز بأنّها توليدية، تتوالد منها التّوجيهات للفكر وتمثّل الأرضيّة الصلبة التي تنبثق منها الأفكار، شلّها يعني شل البراديغم الذي ينتظم وفقا لها كلّية. حينها يحدث

تغيّر على مستوى النّوى التنظيميّة للمجتمع والحضارة والثّقافة وفضاء العقل؛ إنّها تحوّل في طريقة التفكير وفي عالم الفكر وفي العالم المفكر فيه، يعني تغيّر المعتقدات والوجود والكون في الآن نفسه⁽³⁸⁾.

ولكن في كل الأحوال إذا سلّمنا بأنّ الشذوذ هو مصدر الأزمات ومن ثمّ الثّورات فكيف تنشأ الأفكار المنحرفة؟ وكيف ينشأ هذا الشذوذ نفسه؟ هل الأفكار المنحرفة هي بالضرورة صدى للشذوذ الذي يظهر طبيعياً في البراديغم، أم أنّ الشذوذ البراديغمي هو استجابة للأفكار المنحرفة؟

كلاً من الشذوذ البراديغمي والأفكار المنحرفة محكوم بمبدأ التأثير الارتدادي حيث أنّ بروز الشذوذ على مستوى الوقائع، ومن ثم ظهور الأزمات "التي سببها الفشل المتكرّر في جعل ما هو شاذ متسقاً"⁽³⁹⁾ يكون له بالغ التأثير في ظهور الأفكار المنحرفة والشاذة والتي تعبر عن هذا الشذوذ المعاش مثلما حدث مع براديغم التبسيط عندما بدأت تظهر إلى الوجود وقائع شاذة عن هذا البراديغم ولم يستطيع أن يحتويها، فنتج عن ذلك نشوء نظريّات ترفض فكرة الانتظام المطرد التي يتأسس عليها براديغم التبسيط والاتجاه إلى الاعتقاد في الفوضى كبديل للانتظام أو ما نصطلح عليه بنظريّة الكايوس، والتي كانت بدايات ظهورها مع ملاحظات "لورانز" أثناء رصده لأحوال الطقس أين اكتشف أنّ عمليات التنبؤ بأحوال الطقس لن تكون دقيقة، لأنّ الظاهرة ليست محكومة بعلمية خطيّة كما كان يعتقد، وإنّما بعلمية غير خطيّة ومن ثمّ فهي معقّدة وليست بسيطة" فالتنبؤ حسبه إذا زاد عن ستّة أيّام أو سبعة يفقد قيمته، إذ تستطيع عناصر صغيرة نسبياً أن تفقد أفضل التنبؤات عن المناخ قيمتها، إذ تتضاعف الأخطاء والأشياء غير المتوقّعة"⁽⁴⁰⁾، وهو ما يصطلح عليه بأثر جناح الباعوضة، نظريّة الكايوس إذن هي انعكاس

لشدوذ واقعي مقابل ذلك يكون التأثير عكسيا أين تظهر الفكرة المنحرفة إلى الوجود أولا ثم تبدأ امتداداتها في الظهور متى سنحت لها الفرصة، وتكون هي سببا في ظهور الأزمات، قبل أن يظهر الشذوذ إلى العلن، وهو الشذوذ الذي حجبته البراديغم لفترات طويلة ربّما. الارتداد بين الفكرة المنحرفة والشذوذ نلمسه في أنّ الفكرة المنحرفة تفاقم الشذوذ على مستوى البراديغم، والشذوذ البراديغمي يزيد من امتداد الفكرة المنحرفة ويقوّيها، إنّ الفكرة المنحرفة والشاذة بتحريكها للبراديغم تكون قد شكّلت نواة جديدة لبراديغم جديد، فيبدأ هذا البراديغم الفكري في التّشكّل والتّكوّن إلى أن يكتمل تكوّنه ويصبح انبثاق الفكر محكوماً بآليات ومقولات هذا البراديغم الجديد، هذا التّشكّل الذي يكون وفقا لمبدأ الانتظام الذاتي.

رابعا: دور انتظام الأفكار في انبثاق البراديغمات:

تمنح الفكرة الشاذة والمنحرفة والتي انبثقت على هامش البراديغم السائد، الشرارة الأولى التي تتشكل منها نواة البراديغم الجديد، فتكون هذه النواة مستقبلا المبدأ والمنطلق الذي سوف تنبثق منه الأفكار ويتشكّل منه الفكر في صورتيه الفرديّة والجماعيّة، هذا من دون أن ننسى أنّ تأثيراتها تمتدّ إلى عمليات التّفكير (الفكر) على مستوى الدّماغ، بوصفها عمليّات مسؤولّة على الوعي والإدراك والمعرفة فيمسّها تغيّر في التّنظيم والاستراتيجيا على حدّ سواء، وكل هذا يحدث في حواريّة عالية التعقيد.

إنّ تبلور الفكر وانبثاقه انطلاقا من تأثيرات الفكرة المنحرفة لا يتم بطريقة مبرمجة وآلية في صورة فكر ناشئ وفقا لمبدأ العليّة الخطيّة، وإنّما على النقيض من ذلك تماما يتمّ وفقا لمبدأ الانتظام الدّاتي، بمعنى أنّ الفكر مثلما سلف الذّكر سواء في صورته الجماعيّة والذي يكون انبثاقا من الآلة

المليونية، أو في صورته الفردية كانبثاق من الدماغ أو كعمليات تفكير تساهم في هذا الانبثاق، ينتظم ذاتيا. هذه المبادئ نفسها التي تحكم عمليات الانتظام الذاتي على مستوى الواقع والمجتمع، وحتى الأجسام العضوية هي نفسها التي تساهم في التنظيم الذاتي للفكر، ويتعلق الأمر بمبدأ الحوارية والارتداد والهوليغرام، والسبب الذي يحملنا على هذا الاعتقاد هو أن الفكر يدخل في علاقة جد مركبة ومعقدة مع الواقع الذي ينتمي إليه الانسان، الواقع الطبيعي (تعقيدات الدماغ) والواقع الاجتماعي والثقافي، وبمعنى أدق هو أنه إذا كان موران يسلّم بأن هذه الكيانات البيولوجية (الدماغ) والاجتماعية (الثقافة، اللغة...) تنتظم ذاتيا وفقا للمبادئ السالفة الذكر فإنه لا يكون هناك أدنى شك حينما نعتقد أن الفكر ينتظم ذاتيا سواء كان في صورته الفردية أو الجماعية.

إن التعقيد الموجود بين الفكر والواقع الاجتماعي، والحوارية القائمة بينهما تدفع الاعتقاد بأن الانتظام الذاتي للفكر هو من الانتظام الذاتي للمجتمع" فالمجتمع المدني ينتظم على نحو عفوي من خلال التفاعل بين الأفراد والمجموعات، ويخضع لتنظيم اللامركزي العفوي للوسط الاجتماعي على النقيض من نظام بيئي طبيعي ذاتي التنظيم"⁽⁴¹⁾، لكن هذا الانتظام العفوي للمجتمع هو ذاته مدين للبراديغم وللتغيرات التي يمكن أن تحدث على مستوى هذا البراديغم، وكأننا نريد أن نقول أن عمليات الانتظام الذاتي هذه تكون بصورة متوازنة، ففي الوقت الذي يشرع فيه البراديغم الجديد في التشكل والانبثاق بعد ظهور الانحراف، يمتد هذا الحدث إلى الواقع الاجتماعي فتنتلق شرارة التحول في البنى والتركيبات الاجتماعية، فالانتظام الذاتي للفكر يساهم في انتظام المجتمع ذاتيا، الذي بدوره يؤدي إلى انتظام

البراديغم الذي هو في طريقه للتشكل وينعكس ذلك بوضوح على مستوى طريقة تفكير الأفراد أو بالأحرى ينعكس على استراتيجيات التفكير.

إذا ما أردنا أن ندلل على هذه الحوارية بين البراديغم من جهة والواقع الاجتماعي من جهة أخرى وتأثيراتها في عمليات الانتظام الذاتي للفكر، يمكننا أن نستقرئ التاريخ ونحاول أن نبحث في نمط تفكير الشعوب والمجتمعات التي كانت تعتمد النموذج الاشتراكي، بل نتبين من نمط الفكر السائد ثم نقارنه مع نمط تفكير تلك الشعوب نفسها في المراحل الأولى التي تمثل بدايات تراجع هذا النموذج، ليقارن في نهاية المطاف مع نموذج التفكير الذي ساد بعد التحوّل الكلي عن الاشتراكية عند هذه الشعوب؛ لن يكون هناك أدنى شك في أنّ التغيرات التي حدثت على مستوى الفكر كانت متوازنة مع التغيرات التي طرأت على مستوى الواقع الاجتماعي، هذا يجعلنا بلا ريب نقول بأنّ انتظام الفكر ذاتياً وآلياً تحكمه حوارية الفكر (البراديغم) مع الواقع الاجتماعي ويحكمه التأثير الارتدادي بينهما أيضاً.

لن تكون هناك مبالغة إذن، إذا قلنا أنّ عملية الانتظام هذه تشبه ما يحدث على مستوى الأجسام العضوية "حيث نرى الجزئيات داخل جهاز عضوي مثلاً تموت وتتجدد إلى درجة أنّه يظلّ هو حتى وإن تجددت جميع مكوناته"⁽⁴²⁾، هذه التغيرات لا ترصدها المشاهدات السطحية والعبارة، فهي لا تلحظ ولا تنقل أيّ تغيير يذكر مع أن هناك تبدلات جذرية وانتظامات قائمة على مستوى هذا الكائن، وكذلك يكون الأمر على مستوى الفكر فعمليات الانتظام الذاتي للفكر هي الأخرى تتحقّق عندما تبدأ الأفكار البالية التي ترتبط بالبراديغم القديم في الدوبان والاندثار لتحل محلّها أفكار جديدة

انبثقت من البراديغم الجديد الذي هو في طور التكوّن، حتى إذا اكتمل التبلور انتظم الفكر بشكل كامل وانتظمت من ورائه عمليات التفكير.

يبقى الأشخاص الذين يشكّلون المجتمع هم أنفسهم تقريبا وكأنّ شيئا لم يحدث، غير أنّ تبدّلا عميقا قد لحق بنمط تفكيرهم، حيث انتظم تفكيرهم الفردي ومن وراء كل ذلك فكر الجماعة التي ينتمون إليها ذاتيا، بعملية تبادلية بين الواقع الاجتماعي من جهة وما يطبعه من مستجدات وبين الشذوذ الي ظهر على مستوى الفكر في حوارية معقدة، بحيث يحدث الشذوذ الذي يظهر على مستوى الوقائع والظواهر "اختلالا" كبيرا في البراديغم الذي يسود هذا الواقع ومن حينه تبدأ الحوارية بين هذا الاختلال وبين الاستقرار الذي يمثله البراديغم السائد، أين يكون هناك احتكاك كبير يفرز صورة جديدة وتنبثق منه أفكار جديدة، وهذا على الرغم من أنّ هناك تعارض كبير بين الاختلال والاستقرار، بل هو تضاد.

إنّ "الاستقرار والاختلال عدوّان لبعضهما البعض، فكل طرف يلغي الآخر ولكنهما في الوقت ذاته وفي بعض الحالات يتعاونان معا وينتجان التنظيم والتعقيد، مع الحفاظ على التعارض داخل الوحدة"⁽⁴³⁾، هذا يعني أنّ الانتظام الذاتي للفكر لا يقوم على مبدأ الالغاء والاقصاء الكلّي للمتعارضات والمتضادات، وإنّما يتشكل منها وينتظم بها، فعلى مستوى الاستراتيجيات التي يمارسها الفكر (التفكير) على سبيل المثال نجدها تتغيّر وتتبدّل حسب إفرازات الحوارية بين الاختلال والاستقرار، بل قد يحدث أن تنتقل بين طرفي النقيض أو تشتمل عليهما معا.

لكن تطوّر الشذوذ هذا وتحوّله من شذوذ إلى واقع، وإلى حقيقة أو بالأحرى انتقال الفكرة المنحرفة من كونها فكرة منحرفة إلى كونها فكرة

براديجميّة، يكون عن طريق التّوالد بين الأفكار، هذا التّوالد الذي ينتجه التنظيم الذاتي، فعندما تظهر الحواريّة بين الاختلال والاستقرار وبين الفردي والجماعي وبين البيولوجي والثّقافي ينتظم الفكر، وهو في مراحل انتظامه تتوالد الأفكار التي تطوّره وتقوده إلى مستوى الكمال البراديجمي (اكتمال البناء) فلا يمكن أن تنجح الفكرة المنحرفة في التّحوّل إلى فكرة براديجميّة جديدة إلّا إذا انبثقت منها أو بالأحرى توالدت منها أفكار أخرى، يقول موران: "تتوالد الكائنات العقلية عبر التّزاوج فالفكرة والأسطورة تتكاثر وتظهر هي هي كما أنّ الجرثوم أو البكتيريا تتكاثر إلى ملايين الجراثيم أو البكتيريات ويبقى الجرثوم هو هو والبكتيريا هي هي، كذلك الفكرة الأسطورة المتكاثرة تبقى هي هي وفي الوقت نفسه تشكّل هذه الكائنات العقلية الجديدة كائنا وحيدا بالذات، أي الأسطورة المطلقة والفكرة المطلقة"⁽⁴⁴⁾.

إنّ الكائنات العقلية التي يتحدث عنها هنا موران، هي الأفكار بما فيها الأفكار الأسطوريّة، هذه الأخيرة يمكن أن تتضاعف وتتقوى وتمتد مثلما يحدث الأمر مع الجراثيم والبكتيريات بالضبط، وإن كانت تختلف حسب ما نرى في جانب معيّن مع تكاثر البكتيريات والجراثيم، والتي تكاثرها يقتضي أن يكون هناك وسطا ملائما ليساعدها على ذلك، وإلّا فإنّها تموت، ولا يكون لها أيّ سلطان في صناعة الوسط الذي تنشأ فيه بذاتها، فهذا خلافا مع عالم الأفكار التي تتكاثر وتكون في تكاثرها شبيهة بالجراثيم والبكتيريات، على اعتبار أنّ الوسط الذي تتكاثر فيه هذه الأخيرة هي التي تساهم في وجوده وصناعته بحيث تتكاثر في الوسط الذي تنتجه والذي يسمح لها بأن تتكاثر، وهذا يعود بنا مرّة أخرى إلى التأثير الإرتدادي دائما، "إن الحواريّة بين النظام (الفوضى) التنظيم هي حركة دائمة في العوالم الفيزيائيّة والبيولوجيّة والانسانيّة وذلك

بواسطة عدد لا متناهي من الآثار الرجعية المتبادلة وبأشكال مختلفة كثيرا⁽⁴⁵⁾، هذه الحوارية تستبعد مفهوم ودلالات الفكرة الواضحة والبدئية والتي تنشأ من مبادئ عقلية فطرية عند ديكارت وبطريقة تشبه إلى حد كبير علاقة سببية-سبب نتيجة- هذا الإقصاء لصالح الفوضى ولصالح النظام والتنظيم كلّها معاً، فحتى على مستوى الفكر مهما كانت صورته وحتى براديجمه تبقى الفوضى حاضرة دوماً وموجودة تتعايش مع النظام، بل وفي حوارية مع النظام –النظام هنا يمثل الأفكار البراديجمية- ينتظم الفكر ذاتياً، فضلاً على هذا بقاء هذا النموذج من الأفكار يسمح بالتجديد والتطور، لأن الاحتمال يبقى موجوداً دائماً.

إنّ هذه الحركية الفكرية، وهذا الانتظام يتم على مستوى الآلة المليونية وهذا يعني أنّ هذه "الآلة المليونية ليست آلة فيزيائية فحسب بل هي حيوية إنسانية ولا يمكن أن تستغني عن الفوضى"⁽⁴⁶⁾، وهي بهذا الوصف حسب "موران"، تمثل حاسوباً كبيراً يتكوّن من الملايين من العقول (والأدمغة) والتي تتفاعل ويؤثر بعضها في بعض بل ويشمل بعضها بعض وتتجاوز مكوناتها المتضادة، كل هذا يتم وفقاً لعمليات حوسبية تؤدي إلى انتظام ذاتي في الفكر الجماعي، وتنعكس هذه الحوسبات على الفكر الفردي الذي يمثل الفضاء الذي تنشأ فيه الأفكار. إنّ العقل/الدماغ يقوم بعمليات حوسبية عالية التعقيد، ينتهي بها الأمر إلى نشوء أفكار من هذه العمليات الحوسبية؛ هذا الفكر المنبثق من الآلة الدماغية يكون له مفعول رجعي على هذه الحوسبات نفسها، ويستخدمها ويطورها ويحوّلها من خلال تشكيلها في اللغة⁽⁴⁷⁾. ومن ثمّ يمكن القول أنّ عمليات الحوسبة التي تتم على مستوى

العقل/الدماغ وتلك التي تتم على مستوى الآلة المليونية هي من جهة مظهر من مظاهر الانتظام الذاتي للفكر، ومن جهة أخرى فاعل أساسي لهذا النظام. "إن الحركة المنظّمة والمبدعة للفكر، هي مجمّع حوارى يستخدم مقدرات الذهن الكاملة والمتضادة مثل التمييز، الربط، التفرقة، التوحيد والتحليل التركيب والتشخيص والتعميم والتجريد والتجسيد والاستنتاج والاستقراء والموضوعية والذاتية والتحقق والتعقل"⁽⁴⁸⁾، عن طريق هذه الحواريات إذن تتم عملية الانتظام الذاتي للفكر على مستوى العقل/الدماغ خاصة، والملاحظ هنا أن موران قد استخدم هنا مصطلح مجمّع حوارى وهو الخطاب الذي يوحى إلى أن هناك حواريات متنوّعة وليست حوارية واحدة، حواريات معقّدة بحيث تكون من جهة معينة متفرّدة ومستقلّة، ومن جهة أخرى تدخل في علاقات تفاعلية.

خاتمة:

ما يمكن أن نخلص إليه من خلال هذا العمل، هو أن البراديغم الذي يهيمن على النظام المعرفي للإنسان ويوجهه، والذي يتحكم حتى في الواقع السوسيولوجي، لا يكون في بداياته الأولى سوى فكرة منحرفة، هامشية وشاذة، انبثقت مثلها مثل سائر الأفكار، وفق صورة مركبة، نتاجا للتأثير الارتدادى والانتظام والحوارية، ثم تتحول شيئا فشيئا إلى أن تصبح نواة لبراديغم قائم بذاته، عندها يتحكم هذا البراديغم في انبثاق الأفكار وتوجيه الفكر بوجه عام، وهو ما حدث مع براديغم البداهة والوضوح.

لعل أنه من بين المفارقات التي وقفنا عليها من خلال هذا العمل أيضا، هي أن براديغم البداهة والوضوح الذي يعبر على نزوع العقل نحو التبسيط، هو ذاته انبثق وتشكل وتجرّد، وفق آلية مركبة، حتى أن توجيهه للفكر كان

وفقاً لهذه الآلية التي تحركها مثلما سبق الإشارة إليه، مقولات التأثير الارتدادي والانتظام الذاتي والهوليغرام وخاصة الحوارية.

إن انبثاق الأفكار وتشكل البراديجمات إذن، إنما تحكمه وتحركه آلية مركبة، تقوم على ثلاثة ركائز أساسية كما حددها موران، وذلك يتم من خلال استخدامهم للمقدرات الذهن وكفاءاته وأدواته، التي تتمثل في الربط، التمييز، التوحيد التحليل والتركيب، حيث تتيح للفكر إمكانية أن يقيم حوارية بين العقلاني والتجريبي وبين المنطقي والتناظري وبين العقلاني والأسطوري، وبين الواضح والضبابي، وبين الشك واليقين، وبين النية والفعل وبين الغايات والوسائل، وراء هذه الحواريات هناك الشك والإرادة، الخيال المشاعر، والقلق إزاء سر الكون، لتكون بذلك هذه الحوارية بمختلف صورها وأشكالها تعبر عن الآلية التي عن طريقها ينتظم الفكر، هذا الانتظام الذاتي الذي بدوره بقدر ما يعبر على عمليات التحول والتبلور والتكون البراديجمي، يعبر من جهة أخرى عن الكيفية التي تتوالد بها الأفكار وتنبثق.

لقد كشف لنا هذا العمل أيضاً أن تنظير موران لما يصطلح عليه بالفكر المركب، بقدر ما يعبر على البنية المركبة للفكر يعبر بالمقابل على أن العقل البشري في طريقه إلى التأسيس لأنموذج جديد في التفكير، أنموذج يتجاوز التفكير وفق مقولات ابستمولوجيا التبسيط، أو بالأحرى براديجم البداهة والوضوح، مادامت هذه الابستمولوجيا ذاتها، انبثقت وفقاً لآلية مركبة.

. الهوامش:

- 1- رديم أبورغيف الموسوي، الدليل الفلسفي الشامل، ج1، دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، ط1، 2013، ص 183
 - 2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، دار الكتاب المصري 'القاهرة، 1979، ص 508
 - 3- أنظر توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة جلال شوقي (الكويت مطابع السياسة 1992) حاشية 1969 ص 244
 - 4- توماس كون، المرجع السابق، ص 42
 - 5- ادغار موران، المنهج، الأفكار مقامها حياتها عاداتها وتنظيمها، تر جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان 2012 ص 314.
 - 6- ادغار موران، الأفكار، المصدر السابق ص 315.
 - 7- ادغار موران، المصدر السابق، الصفحة نفسها.
 - 8- ادغار موران، معرفة المعرفة، أنثروبولوجيا المعرفة، ترجمة جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط 1، 2012 ص 240
 - 9 -ديكارت، قواعد لتوجيه الفكر، تر، سفيان سعد الله، دار سراس للنشر، تونس، 2001، ص 42
 - 10 - رونيه ديكارت، حديث الطريقة، ترجمة عمر الشاراني، المنظمة العربية لترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت لبنان، 2008 ص 94
 - 11- رونيه ديكارت، العالم، ترجمة إميل خوري، بيروت لبنان، دار المنتخب العربي، ط1، 1999، ص 89
 - 12 - رونيه ديكارت، حديث الطريقة، المرجع سابق، ص 89
 - (13) ادغار موران، الأفكار، المصدر سابق، ص 341.
- *الهولوجرام: (الشمولية) Hologramme / Princphologrammique يمثل الهولوجرام المبدأ الثالث من مبادئ الفكر المركب، ويقصد به موران، صورة تضم كل نقطة فيها مجمل المعلومات المتصلة بالشيء ولا يعني المبدأ الشمولي أن الجزء داخل الكل فحسب،

- بل إن الكل داخل الجزء على نحو ما. أنظر: ادغار موران، انسانية البشرية، الهوية البشرية، ص 350
- (14) ادغار موران وآخرون، القيم إلى أين " (أخلاقيات المستقبل وعلاقتها بالسياسة)، ترجمة زهيدة درويش جبور وجان جبور، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، بيت الحكمة، دط، 2005، ص 166.
- (15) إدغار موران، الأفكار، المصدر سابق، ص 316.
- (16) ادغار موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة أحمد القصور ومنير الحجوجي، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، ط1، 2004 ص 44.
- *عملية أساسية في المعلوماتية. الإحتساب أصل الكلمة اليوناني computatio وهي عملية تقدير المقارنة والمواجهة والفهم معا الإحتساب نشاط ذوسمة إدراكية يعمل وفق إشارات ورموز يفصل بينها أو يربطويتضمن هيئات معلوماتية رمزية واستذكرية وبرامجية؛ النشاط الحسابي ليس جزءا لا يتجزء من النشاط العقلي فحسب بل من التنظيم الذاتي (إنسانية الإنسان ص 342-347).
- (17) ادغار موران، المنهج معرفة المعرفة، ترجمة جمال شحيد، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2012، ص 313.
- (18) ادغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، المصدر سابق، ص 45.
- (19) ادغار موران، معرفة المعرفة، المصدر سابق، ص 317.
- (20) ادغار موران، الأفكار، المصدر سابق، ص 193.
- (21) ادغار موران، المصدر نفسه ص 194.
- (22) Edgar Morin ، Les sept savoirs nécessaires al éducation du futur publié par L'organisation des nation unies pour L'éducation ,la science et la culture (u n e s c o), paris 07, France 1999.p07
- (23) ادغار موران، معرفة المعرفة، المصدر سابق، ص 77.
- (24) المصدر نفسه، ص 173.
- (25) إدغار موران، الأفكار، المصدر سابق، ص 184.

عادل بويحي الصورة المركبة لانبثاق الفكر وعلاقتها بالبراديغم المهيمن: مقارنة تحليلية
في فلسفة ادغار موران بويحي عادل

-
- (26) Edgar Morin, Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, opcit, p. 10-11.
(27) إدغار موران، الأفكار، المصدر سابق، ص 228.
(28) المصدر نفسه، ص 318.
(29) المصدر نفسه، ص 196.
(30) المصدر نفسه، ص 347.
(31) المصدر نفسه، ص 323.
(32) المصدر نفسه، ص 228.
(33) Bomtzer jacques, les chemins de la science, paris, édition sociales, 1993, p 143
(34) إدغار موران، الأفكار، المصدر سابق، ص 50.
(35) Moles, A, abraham, la création scientifique, édition kister Genève, 1957, p 118
(36) إدغار موران، الأفكار، المصدر سابق، ص 55.
(37) المصدر نفسه، ص 348.
(38) المصدر نفسه، ص 343.
(39) توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، الكويت، مطابع
السياسة، دط، 1992، ص 24.
(40) جيمس غيليك، نظرية الفوضى والانتظام علم اللا متوقع، ترجمة أحمد مغربي
بيروت، لبنان، دار الساقى ط1، 2008 ص 3
(41) موران ادغار، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، ترجمة هناء صبيحي، الإمارات
العربية المتحدة، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط1، 2009 ص 221.
(42) إدغار موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، المصدر سابق، ص 34.
(43) موران إدغار، المصدر نفسه، ص 74.
(44) إدغار موران، الأفكار، المصدر سابق، ص 190.
(45) إدغار موران وآخرون، فلسفات عصرنا (نحو نموذج جديد)، ترجمة إبراهيم صحراوي
بيروت، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد
بن راشد آل مكتوم، ط1، 2009، ص 385.
(46) إدغار موران، إنسانية البشرية الهوية البشرية، المصدر سابق، ص 226.

(47) إدغار موران، معرفة المعرفة، المصدر سابق، ص 226 .

(48) إدغار موران، إنسانية البشرية الهوية البشرية، المصدر سابق، ص 127.

قائمة المصادر المترجمة إلى اللغة العربية :

- 1- إدغار موران، الأفكار (مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها)، ترجمة جمال شحيد، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ج 4، ط، 2012.
- 2- إدغار موران وآخرون، القيم إلى أين " (أخلاقيات المستقبل وعلاقتها بالسياسة)، ترجمة زهيدة درويش جبور وجان جبور، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، بيت الحكمة، دط، 2005 .
- 3- إدغار موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة أحمد القصور ومنير الحجوجي، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، ط 1، 2004.
- 4- إدغار موران، المنهج معرفة المعرفة، ترجمة جمال شحيد، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2012، 1 موران 5- إدغار، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، الإمارات العربية المتحدة، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط 2009، 1.
- 6- إدغار موران وآخرون، فلسفات عصرنا (نحو نموذج جديد)، ترجمة إبراهيم صحراوي بيروت، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط 2009، 1.

المصادر باللغة الأجنبية:

- 1- Edgar Morin « Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur publié par L'organisation des nation unies pour L'éducation ,la science et la culture (u n e s c o), paris 07, France 1999.p07

المراجع المترجمة إلى اللغة العربية:

- 1- توماس كون، بنية الثورات العلمية، تر، شوقي جلال، الكويت، مطابع السياسة، دط، 1992.

عادل بويحي الصورة المركبة لانبثاق الفكر وعلاقتها بالبراديجم المهيمن: مقارنة تحليلية
في فلسفة ادغار موران بويحي عادل

-
- 2- جيمس غيليك، نظرية الفوضى والانتظام علم اللا متوقع، ترجمة أحمد مغربي
بيروت، لبنان، دار الساقيط 2008، 1
- 3- توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة جلال شوقي (الكويت مطابع السياسة
1992) حاشية 1969 ص 244
- 4 - رونيه ديكارت، قواعد لتوجيه الفكر، ترجمة سفيان سعد الله، دار سراس للنشر،
تونس، 2001
- 5 - رونيه ديكارت، حديث الطريقة، ترجمة عمر الشاراني، المنظمة العربية لترجمة،
مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت لبنان، 2008
- 6- رونيه ديكارت، العالم، ترجمة إميل خوري، بيروت لبنان، دار المنتخب العربي، 1999

المراجع باللغة الاجنبية:

- 1-Bomtzter jacques، les chemins de la sciense، paris، édition sociales، 1993.
- 2-Moles، A، abraham، la création scientifique، édition kister Genève، 1957

المعاجم والموسوعات:

- 48 - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء 2، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، دار الكتاب
المصري 'القاهرة، 1979
- 2 - رحيم أبورغيف الموسوي، الدليل الفلسفي الشامل، الجزء 1، دار المحجة البيضاء،
بيروت لبنان، ط 1، 2013